

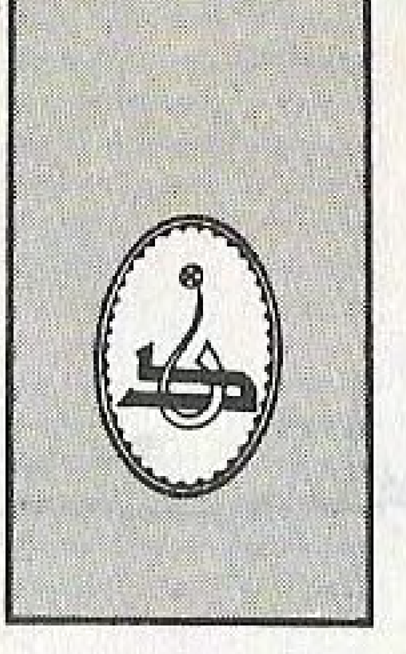
سلسلة المغامرين الـ ١٣



الخفّاش الدّموي ..

دار النفائس

محمّد عبد الحميد الطرزي



الخفّاش الدّموي..

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة المغامرين الـ ١٣

الخفّاش الدّموي..

تأليف

محمّد عبد الحميد الطرزي

دار النفائس



للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان - بناية الصباح
وصفي الدين - ص . ب ١٤/٥١٥٢
برقياً : دانفايسكو - ت ٨١٠١٩٤
أو ٨٦١٣٦٧ بيروت - لبنان

الطبعة الثانية : ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

بائع التماثيل

أوقف سامح سيارته أمام باب بناية ملصق عليه إعلان كبير عن بيع بالمزاد العلني ، لمحتويات شقة تاجر التحف الذي اختفى فجأة ، منذ عامين ، دون أن يعثر له على أثر فاعتبر في حكم الميت . .

فتح سامح باب السيارة ، ورفع بصره الى البناء الكئيب الصورة ، فأحس بنفور غريب حداه للعودة الى السيارة مرة أخرى وهو يقول :

ـ لست أدري لماذا أشعر بعدم الراحة لمنظر البناية ، فضلاً عن مخلّفات هذا الرجل ، الذي لا يُعرف حتى الآن إن كان حياً أم طواه الموت . .

أجابته سميرة باسمة :

ـ انت الذي يقول هذا القول . . ؟؟ لا شك أنك مريض يا سامح . .

أجابتها فتنة متظاهرة بالتأثر الشديد :

ـ سميرة . . لا تكوني قاسية . . إن قلب سامح الرقيق لا يتحمل أمثال هذه المواقف . .

ضحك جعفر عن أسنان ناصعة وقال :

ـ جميل . . لا شك أن البداية تبشّر بعراك وشيك . .

فتح سامح باب السيارة ، وأجابها بعصبية :

ـ ولماذا السخرية . . ؟؟ تفضلوا وارحموني من ألسنتكم الطويلة . .

غادروا السيارة باسمين وكانت ، أول من غادرها منهم ، نهلة ، التي لزمت الصمت طوال الوقت فقالت :

ـ أرأيت كيف اتحدوا ضدك . . ؟ ولكن لا تعرهم أي اهتمام ، فأنا معك . .

ضحك سامح ، وهو ينظر الى وجهها الصبوح الباسم ، وقال :

ـ أعرف أنك معي ، ولكن ترى ماذا يدور داخل هذا الرأس ؟

أطلقت نهلة ضحكة طويلة لفتت اليهم أنظار المارة ، فقال جعفر :

ـ أجّلوا الضحك الآن . . هل سنصعد قبل وصولهم . ؟؟

أجابته سميرة :

ـ بالطبع سنصعد ، وريثما ندور دورة في المكان للتفرج على المعروضات يكونون قد وصلوا . .

لم يسعه إلا الموافقة ، فأغلق أبواب السيارة ، ولحق بهم ليدخلوا الى المصعد معاً ، وقال ، قبل أن يقفل باب المصعد :

ـ يبدو أن هذه الفتاة آتية لحضور المزاد . . فلننتظرها لتصعد معنا . .

وقد صدقت فراسته ، إذ دلفت إلى المصعد مسرعة ، وهي تحييهم شاكرة ، فقال سامح :

ـ أعتقد أنك صاعدة إلى الطابق الخامس مثلنا . .

التفتت إليه دهشة ، وإن أجابته بابتسامة ، وقالت :

ـ بالفعل هو الطابق الذي أنشده . . ولكن كيف عرفت . . ؟

انتهزتها فتنة فرصة وقالت بلهجة تمثيلية :

ـ يا له من سؤال يا آنسة . ألا تعرفين مع من تتكلمين ؟

بدت البغتة على وجه الفتاة ، واحمر وجه سامح حرجاً وخجلاً ، فتدخلت سميرة لتقول وهي تبتسم :

ـ لا تؤاخذيهم فإنهم جبلوا على الهذر والمرح .

شاركتها الضحك ونظرت إليهم كمجموعة بإعجاب وقالت :

ـ إني أحسدكم على هذا المرح . .

أجابتها بمرح :

ـ ما الحياة يا آنسة . . ؟ فترة نعيشها ثم نذهب بعدها إلى المجهول ، وينتهي كل شيء . .

توقف بهم المصعد وغادروه ، دون أن يزيدوا كلمة .

ولما دخلوا إلى الشقة الفاخرة أسرع لاستقبالهم شاب أشقر أنيق الى حد الإسراف والتكلف . . قال مرحباً .

ـ آنسة سونيا . . أهلاً بك . .

صافحته ببرود ظاهر وقالت :

ـ هل أعددت كل شيء . . ؟؟

أجابها بابتسامة متكلفة :
ـ بالطبع . . وهل تشكين في اهتمامي بكل ما يتعلق بك . . ؟

كانوا يراقبونها بانتباه وأدركوا ، للوهلة الأولى ، أن سونيا لا تكنّ له وداً ، وخاصة عندما قالت وهي تشيح بوجهها بعيداً :

ـ إذن ، فارجو الإسراع فقد كرهت كل هذا الشيء . .

والتفتت إليهم وقالت باسمة :

ـ دعونا ندخل إلى غرفة مكتب عمي . .

بدت عليهم الدهشة وقالت فتنة :

ـ عمك . . ؟؟

أومأت برأسها ببساطة وهي تتقدمهم ، داخلة الى الغرفة الفاخرة ، وقالت :

ـ نعم . . كان عمي . .

اتخذوا أماكنهم والاهتمام بادٍ عليهم ، وقال سامح :

ـ عفواً يا آنسة . . قلت كان عمك . . ؟؟

تأملته برهة وأجابته قائلة :

ـ هذا ما قلته . . كان عمي وكان يحبني . .

أجابها سامح :

ـ حقاً لقد اختفى ولا أحد يعرف أين اختفى ، ولكن لم يجزم أحد بأنه . .

وسكت سامح حرجاً ، فقالت مكملة :

ـ لم يقل أحد أنه مات . . أليس هذا ما أوشكت أن تقوله . . ؟؟

أجابها بهدوء :

ـ تماماً . . لا يمكن الجزم بأنه قد أُصيب بمكروه . .

لاح على وجهها تأثر سرعان ما تلاشى وهي تجيبه :

ـ أين هو إذن ، إن كان حياً . . ؟؟ أيترك تحفه الثمينة ، التي أفنى عمره في جمعها ، تباع في المزاد ، على هذه الصورة ، لو كان حياً . . ؟؟ لو كنتم تعلمون كم كان يحب تحفه لأيقنتم بأنه كان من السهل عليه التخلي عن عين من عينيه بسهولة ، ولا يفكر في التنازل عن قطعة صغيرة من تحفه . .

وسكتت لحظة قالت بعدها :

ـ معذرة . . لقد شغلتكم عن حضور المزاد ، فلا شك أنكم حضرتم لشراء بعض المعروضات . .

أجابها سامح بتردد :

ـ كان هذا عزمنا قبل أن نتعرف عليك . . أما الآن فلن نشتري شيئاً نشعر أنه غال عليك ، ولو خُيّرتِ ما فكرت في بيعه أو التفريط فيه . .

سقط عن وجهها قناع التظاهر وقالت بحزن :

ـ هذا صحيح . . إنني بدوري أحب تحفه التي أعرفها ، وأعرف تاريخ كل قطعة منها معرفتي لإسمي . .

تأثروا لحزنها ، وقالت نهلة بود وعطف :

ـ لماذا إذاً وافقت على بيعها . . ؟؟

تأملتها برهة وقالت بأسى :

ـ إنني مجبرة على ذلك لأسدد الديون المطلوبة منه . .

ظهر الاهتمام على وجوههم ، عندما تابعت قائلة :

ـ مجموع الديون مائتين وخمسين ألفاً من الجنيهات . .

أطلق جعفر صفيراً طويلاً وقال :

ـ إنه مبلغ كبير . .

وجال ببصره فيما حوله ، ثم انتقل ناظراً إلى ما يدور خارج الغرفة ، وقال بشك :

ـ وهل ستحصلين على هذا المبلغ الكبير من هذا المزاد . . ؟

أطرقت بحزن وقالت :

ـ لو صحت تقديرات الخبراء ، الذين يقومون على البيع ، فإنني أنتظر أربعة أضعاف هذا المبلغ . . عندما ينتهون من بيع المنقولات ، وقبل أن يبدأ بيع التحف ، سننتقل إلى قاعة المزاد لتشاهدوها عن قرب . .

وساد الهرج المعتاد مما دلهم أن المزاد قد بدأ . . وطالت المزايدة بين المشترين ، وارتفع سعر سجادة صغيرة إلى قرابة العشرةآلاف جنيه وهم دهشون . . ولاحظت عليهم الدهشة فابتسمت بمرارة وقالت :

ـ لا يدهشكم سعرها ، فقد سبق له شراءها بضعف هذا المبلغ . . إنها ، بالاضافة إلى قيمتها ، قطعة نادرة لها قيمتها التاريخية . . كانت سجادة أحد أباطرة الفرس . .

وقطع عليهم الحديث ظهور فيصل ، وهو بادي السرور يقول :

ـ لقد حصلت عليه ، وهو الآن ملكي . . اين انتم . . ؟ أتجلسون هنا وتتركون هذه الروائع تتسرب من بين أيديكم . .

وصدمه وجود سونيا فسكت ، ثم قال بصوت خافت نوعاً ما :

ـ آسف إن كنت قطعت عليكم حديثكم . .

أجابته نهلة :

ـ أقدم لك صديقنا فيصل . .

وقدمتها له قائلة ببطء ، وهي تضغط على كل كلمة ليدرك ما تهدف إليه :

ـ الآنسة سونيا . . وهي إبنة أخ صاحب هذه الشقة الرائعة . .

أدرك بعد فوات الأوان ما تعنيه ، فقال معتذراً :

ـ أكرر أسفي . .

أجابته سونيا :

ـ لا عليك يا سيد فيصل . . تفضل . .

اتخذ له مجلساً إلى جوار نهلة ، فقالت سونيا متابعة :

ـ ترى أي شيء نجحت في شرائه . . ؟؟

أجابها بخجل :

ـ إنه ذلك المكتب الأنيق الصغير . . إنه تحفة رائعة حقاً .

أجابته سونيا :

ـ ذلك المكتب المرصع بالأصداف البيضاء . . ؟؟

أومأ برأسه إيجاباً ، فقالت مسترسلة :

ـ لك ذوق رفيع يا سيد فيصل . . إنه رائع فعلاً . .

قالتها بمرارة لم تفت أذن فيصل الحساسة ، فقال على الفور :

- أشعر وكأنه عزيز عليك . . ؟؟

تلفتت حولها بحيرة وقالت بصراحة :

- فعلاً ، وإن كان كل شيء هنا له المنزلة عينها في نفسي . .

قال فيصل بأريحيته العربية :

- أنا لا أملك أن أردها لك كلها ، ولكني أتنازل عن المكتب عن طيب خاطر . .

أجابته محتجة :

- أستاذ فيصل . . لم أفكر لحظة في الاستحواذ على شيء من المزاد لأسباب تعنيني وحدي . . أشكرك على كل حال . .

توالى دخول المغامرين وبعدما اطلعوا على الأمر قال مازن :

- إن فيصل على حق ، ويجب التنازل عنه للآنسة . .

رمته بنظرة شكر عميقة وقالت بألم وحسرة :

- وإذا رددتم أنتم ما اشتريتم فمن سيرد لي باقي ما اغتصبوه اغتصاباً . . ؟؟

قالت سميرة باندفاع :

- يجب إيقاف هذا المزاد ريثما تدبر أمرها .

تعالت أصواتهم بحماس ، تؤيد اقتراح سميرة ، ولكن سونيا رفعت يدها لتسكتهم وقالت :

- أشكر فيكم هذه النخوة والمروءة . . ولكن ما تقترحونه لن يجدي من الأمر شيئاً ، فلو أنهم أوقفوا المزاد اليوم فحتماً سيعودون إليه بعد أيام . .

قالت فتنة :

- قد تتمكنين من تدبير أمرك . .

هزت رأسها بحزن وقالت :

- من أين أدبر مبلغاً طائلاً كهذا الذي خرجوا به علي ، مع العلم بأن عمي لم يكن يوماً مديناً لأحد ، ولا أدري كيف ظهرت هذه الوثائق التي تحدد مبلغ ما كان مديناً به يوماً .

قال سامح بهدوء :

- ليتك توضحين لنا الأمر قليلاً . . ؟؟ تقولين إن عمك لم يكن مديناً ، ولم يسبق له الاستدانة ، فكيف تقبلين بسهولة ما ادّعوه ، وتبيعين تراث الرجل قبل أن تتأكدي على الأقل أنه مات .

نظرت إليه بشرود وقالت :

- إنك على حق . ما كان لي أن أستسلم بهذه السهولة . . ولكن جميع الأوراق التي أبرزوها قانونية ، وأقرها المحامي . .

ظهر الاهتمام الشديد عليهم جميعاً ، وتقدم منها مازن وسألها بصراحته المعهودة :

- آنسة سونيا . . هل تسمحين لي ، على قرب عهدنا بالتعارف ، أن أسألك بضعة أسئلة ، وتجيبين عليها بصراحة . .

تأملت وجهه المريح ، الذي اهتزت عضلاته لفرط اهتمامه ، وأيقنت أنها وقعت على أصدقاء أوفياء فأجابته بانكسار :

- تفضل . . سلني ما شئت ، وسأجيبك على كل شيء . .

أجابها بتأثر :

ـ تأكدي أننا جميعاً لاننشد إلا صالحك . . فأرجوك افتحي لنا قلبك ولن تندمي على ذلك . .

تنهدت بحزن ، وهي تتلفت حولها ، ناظرة إلى وجوههم القلقة ، ثم قالت :

ـ أعذروني . . لقد فقدت ثقتي في الناس جميعاً ، وهذا هو السبب الوحيد الذي جعلني أحبس عنكم بعض المعلومات الهامة ، التي تحيرني ولا أجد لها تفسيراً ، ولا أملك طرحها على أحد ، بعدما ثبت لي أن هذا المحامي ليس بالأمانة أو الثقة التي أولاها له عمي المسكين . .

سألها جعفر :

ـ كيف . . ؟؟ أرجوك لا تخفي عنا شيئاً تعرفينه . .

كانت أصابعها تتقلص ، وهي تعصر منديلها الصغير ، فأجابت :

ـ أخشى أن ألقي بكم في دوامة قد تعرضكم لخطر محقق . .

أمسكت إلهام بساعدها تضغطه مشجعة وقالت :

ـ لا تخشي علينا يا سونيا . . تأكدي أنك بين أخوة لك . .

قالت والدمع حبيس مقلتيها تمنعه بجهد :

ـ إن وراء اختفاء عمي سراً . .

وفتحت حقيبة يدها وأخرجت منها مظروفاً أزرق اللون ، وقدمته لمازن ، وقالت :

ـ من يكتب هذا الخطاب ويخفيه عن الأنظار حتى يصلني مصادفة . . هل يصدق أنه اختفى بمحض إرادته . . ؟؟ أرجوك اقرأه بصوت يسمعه الجميع . .

فضّ مازن الخطاب ، وكانت كلماته قليلة ولكن تخفي بين سطورها الكثير . .

وشرع مازن بالقراءة ، والجميع يصغون بكل جوارحهم :

ـ «إبنتي سوني . . قد يصلك خطابي هذا بعد فوات الأوان ، ولكن ومهما كانت الأحداث غريبة ثقي في عمك ولا تثقي في أحد . . سأعود بعد أن أحصل على ما ذهبت من أجله . . إحرصي على المكتب الصغير فقد تحتاجين يوماً إليه ليرد لك ما قد افقده مرغماً . . عمك الذي يحبك . . » .

ساد الصمت بينهم برهة قصيرة قالت بعدها وسيلة :

ـ الأمر في منتهى الوضوح . .

وقالت سميرة :

ـ دون شك . .

قال مازن بحماسة :

ـ لذلك أود أن نبدأ على الفور . .

سألته سونيا بدهشة :

ـ نبدأ بماذا . . ؟؟

أجابها محدثاً الجميع :

ـ إنه يعني هذا المكتب الذي اشتراه فيصل . .

هزت رأسها إيجاباً ، فقال متابعاً :

ـ لذلك سننقله من هنا على الفور ، وسنعرف منه ما عناه عمك . .

قال جعفر :

ـ أتعتقد أن به درجاً سرياً ، أو شيئاً من هذا القبيل . . ؟

تولى عنه سامح الإجابة بقوله :

ـ إنه أمر مفروغ منه يا جعفر . . سنعثر على السر في مكان ما من هذا المكتب . .

سألها رجب ، بعد طول صمت :

ـ لمن هذا المنزل . . ؟؟ أعني بعد انتهاء المزاد هل يمكننا البقاء هنا ليلاً . . ؟؟

أجابته بأسى وحزن :

ـ بكل أسف . . حتى الشقة التي كلفته مائة ألف من الجنيهات ستذهب بدورها لمن سيدفع السعر الأكبر . .

تنهدت نهلة بارتياح وقالت ببساطة :

ـ إذن فقد وصلنا للحل . . ستكون الشقة لنا . .

نظروا إليها جميعاً دهشين ، وقال مازن :

ـ ماذا تقولين . . ؟؟ ألم تسمعي أن الشقة كلفت عمها مائة ألف جنيه . . ؟؟ من أين لنا مثل هذا المبلغ لتصبح الشقة لنا . . ؟؟ ولا تنسي أن السعر لن يقف عند المائة ألف جنيه .

قال فيصل بوقار :

ـ طبعاً . . سيضاف إليه الخلو ، كالعادة . . ومع ذلك دعونا أولاً نسمع ما عند نهلة وبعدها عندي رأي . .

كانت نظرة مازن وسامح وجعفر لفيصل نظرة من يعرف ما يعنيه بكلماته الهادئة ، التي أطرق بعد قولها وكأنه يتجنب النظر إليهم . .

قالت نهلة وهي تبتسم :

ـ سأدخل المزاد وسيرسو علي . .

أجابها مازن بعصبية :

ـ نهلة . . الوقت يمر سريعاً ولا وقت للمناورات الكلامية . .

تنهدت نهلة وقالت :

ـ لا مناورات ولا مستحيلات فيما أقول . .

وسكتت برهة ثم قالت :

ـ كل ما نحتاجه من وقت لن يتجاوز الساعتين أو الثلاث ، أليس كذلك ؟ سيكون عندنا وقت أضعاف هذا نفحص فيه المكتب بمنتهى الروية حتى نعثر على ضالتنا . .

سألتها سونيا بانبهار :

ـ وكيف يتسنى لنا ذلك . . ؟

ضحكت نهلة وقالت :

ـ إليكم خطتي وأعتقد أنها إيجابية ، وستحقق لنا ما ننشده .

وشرحت نهلة خطتها ، ثم نظرت إلى وجوههم مستفسرة فقال سامح :

ـ رائعة يا نهلة .

وتوالت كلمات التقريظ والإعجاب ، حتى سونيا لم يسعها إلا أن تقول بحماس :

ـ إذن هيا بنا من هنا . .

وغادروا المكان متفرقين حسب الخطة ، ويعلو وجوههم تحدٍ وإصرار .



نجاح باهر ولكن . .

تفرّقوا بين جموع الحاضرين ، واشتركوا بمهارة في أكثر من مزاد ، وإن كانوا يتراجعون كلما أحسوا بفتور المزايدة ، وقرب رسو المزاد على المتزايد الذي نطق بالسعر الأخير . .

وتم البيع وجاء دور بيع الشقة . . وقف أحد الحضور وتقدم من الميكرفون وقال :

ـ سيداتي وسادتي . . انتهى المزاد وتهاني القلبية لكل من فاز بشراء تحفة من هذه التحف الثمينة . . بقي بيع هذه الشقة الفاخرة ، وبصفتي محامي الأسرة ، فإنني أود أن أنوّه بأنني مفوض رسمياً ببيعها لمن يدفع السعر المناسب ، الذي يتلاءم وفخامة المكان . .

وجلس بعض الحضور في أنحاء الشقة ، بينما انصرف كل من اشترى ومعه إيصاله ، الذي سلم له ، ليستلم به ما اشترى . .

وعندما عادوا إلى الصالة ، حيث تقرر إجراء البيع ، كانوا سبعة أشخاص ، بالإضافة إلى المغامرين وسونيا . .

وابتدأ المزاد ، وأخذ السعر في الارتفاع ، وكانت المنافسة حامية بين

ثلاثة من المتزايدين حتى قال أحدهم :

ـ مائة وستون ألفاً . .

كرر البائع السعر مرة وأخرى ، وقبل ان ينطق بالثالثة قالت نهلة بهدوء :

ـ مائة وخمسة وستون . .

التفت الرجل ناحيتها دهشاً ، وكانت نظرته إليها غريبة ، حتى أن جعفر ضغط بقدمه على قدم سامح . . قال الرجل :

ـ ولكن الشقة لا تستحق هذا الثمن . .

أجابته نهلة ببرود :

ـ أحقاً تقول . . ؟؟ إذن أعتبر أنني فزت بها . .

كان صوته يحمل تهديداً خفياً وهو يقول :

ـ تصبح لك إذا رفعت السعر أكثر من مائتي ألف . .

ابتسمت نهلة وقالت بثبات أدهشهم :

ـ إذا قلنا عشرة آلاف أخرى . .

قاطعها بجنون .

ـ أجيبك بتصحيح الرقم إلى عشرين . .

ضحكت نهلة ضحكة قصيرة وقالت متسائلة :

ـ أعتقد أن الشقة لا تستحق كل هذا التطاحن على شرائها ، أليس كذلك . . ؟؟؟

سألها بلهفة :

ـ افهم من هذا أنك انسحبت من المزايدة . . ؟؟

هزت رأسها إيجاباً وهي تبتسم وتقول :

ـ دعني اتذكر أولاً . . آه . . ماذا لو قلنا ربع مليون . . ؟؟

كاد الرجل أن ينشق غيظاً ، والتفت إليها وقال بعصبية :

ـ إنك ترفعين السعر ولا ضمان لنا أنك تملكين مثل هذا المبلغ الكبير . .

واتجه بحديثه إلى المحامي وقال :

ـ سأحرر شيكاً بالمبلغ وعليها أن تفعل المثل . .

ظهر بعض القلق على وجه نهلة ، ولكنها فتحت حقيبتها والتفتت إليهم وقالت :

ـ فليذهب أحدكم ويحضر لي دفتر شيكاتي . .

أشارت لها وسيلة قائلة :

ـ ولماذا . . ؟؟ إن المبلغ معي نقداً . .

التفتوا إليها مصعوقين من الخبر ، واقترب منها جعفر وعيناه لا تحيدان عن عينيها الباسمتين . . وقال الرجل بانفعال :

ـ إذن تكرمي بدفعه للسيد المحامي . .

أجابته بهدوء :

ـ سأفعل دون شك ولكن بعد أن يتسلم منك الشيك ، ونتأكد أن له رصيداً بالبنك . .

نظر الرجل إلى ساعته بقلق وقال بيأس :

ـ ولكن البنك أغلق أبوابه الآن . . ومع ذلك يستطيع المحامي ، إن شاء ، الاتصال بإدارة البنك ، التي تبقى عادة بعض الوقت عقب انصراف الموظفين . .

قال جعفر بصرامة :
ـ أعتقد أنه ضمان غير كاف . .
واستدار وواجه المحامي وقال متابعاً :
ـ أعتقد أن المحامي الكبير يقرّني . . إن المال وحده هو الذي يتحدث في مثل هذه المواقف . .
جفف المحامي جبينه بمنديله ، وهو ينظر حائراً إلى الرجل الذي وقف مبهوتاً ، وقال :
ـ ولكن السيد ريمون معروف مني شخصياً ، وأستطيع أن أوقع على هذا إلى جوار توقيعه . .
تقدم منه مازن بخطوات بطيئة حتى توقف أمامه وقال :
ـ ومن يضمن لنا توقيعك أنت . ؟ لا تؤاخذني فكما يقولون العمل لا يعرف المجاملات . .
قال مَنْ سماه ريمون بشراسة :
ـ إنكم تتحدثون وتناقشون قبل أن نرى هذه الأموال التي معكم . .
كانوا قد اندمجوا في التمثيلية فجاءت كلماته لتنبههم إلى حقيقة موقفهم . . ولكن رنين جرس الباب ، الذي دق فجأة ، أتاح لهم فرصة للتفكير في هذا المأزق الذي أوقعتهم فيه نهلة ووسيلة .
اتجه أحد الخدم إلى الباب وفتحه فإذا بأحد سائقي التاكسي ، بملابسه المميزة ، يتقدم داخلاً وهو يتساءل :
ـ الآنسة . . آه نسيت الإسم . .
وضحك ببلاهة ثم قال مستدركاً :

ـ لا بأس على أي حال . . أين ابنة تونس من بينكم . . ؟؟
تقدمت منه وسيلة فدفع إليها بمظروف كبير ، كان يحمله ، وهو يقول :
ـ هذا المظروف مرسل لك من شقيقك . .
تناولت وسيلة المظروف وهي مشدوهة .
عندها استدار السائق لينصرف وهو يقول :
ـ إن شاءت الآنسة فتحت المظروف . . بداخله الربع مليون جنيه ، التي أمرتِ بها ، وأفضل لو تكرّمت بإحصائها قبل انصرافي . .
أجابته وهي ذاهلة :
ـ لا داعي لذلك . . تفضل أنت بالانصراف وشكراً لك . .
غادر السائق المكان والعيون مركزة نظراتها على ذلك المظروف . . جمد وجه وسيلة برهة ، فأدركوا جميعاً بأن الخفي يتحدث إليها وسرعان ما قالت . .
ـ والآن . . إليك المبلغ . .
قال جعفر بثقة بعد ان اطمأن للموقف :
ـ بقي أن يدبر السيد المال نقداً مثلنا ، أو يتفضل بالانسحاب . .
وقال فيصل بهدوء :
ـ على أن يتفضل الأستاذ المحامي بتحرير عقد البيع وتوقيعه باسم الآنسة . .
قالت وسيلة على عجل :
ـ الآنسة وردة بنت فهد بن عثمان التونسية . .

ابتسموا وأدركوا أنها تتلاعب ، فقال المحامي ، وعرقه يتصبب غزيراً :

ـ ألا ترون إرجاء الأمر كله حتى الصباح . .

التفت مازن إلى جعفر وفيصل فتقدما برفقته ، وبخطوات بطيئة ، نحو المحامي وواجهوه بنظرات مهددة ثم قال مازن :

ـ وإذا رفضنا . .

قال المحامي ، وهو ينظر بخوف إلى ريمون :

ـ في هذه الحالة سأكتب لكم العقد . .

والتفت إلى ريمون وقال متابعاً :

ـ هل باستطاعة الأستاذ تدبير المبلغ . . ؟ من حقك علينا الانتظار ساعة كاملة قبل أن يرسو المزاد على الآنسة . .

تململ ريمون في مكانه بغضب ، وقال من بين أسنانه :

ـ من أين يمكن تدبير مثل هذا المبلغ في ساعة . . ؟ ؟

قال هذا وهبّ من مكانه بعصبية وهو يرمي نهلة ووسيلة بنظرات نارية وقال :

ـ ليكن . . تهاني القلبية يا آنسة . .

وغادر المكان على الفور ، فقالت وسيلة :

ـ إليك المبلغ . .

ودفعت بالمظروف للمحامي ، فتناوله منها كالمفتون وأفرغ محتوياته وشرع في إحصائها ، ولما انتهى قال لوسيلة ناصحاً :

ـ يا آنسة . . إن هذا تصرّف أرعن صدقيني . . إن الشقة لا تستحق

هذا الثمن ، ولا حتى نصفه . .

قالت سونيا بغضب :

ـ ومع ذلك فقد قبلت صديقتي الشراء ، فهل من واجبك إفساد الصفقة وكلها لصالحي . .

لم يجبها مكتفياً بأن وقع العقد وسلمه لنهلة التي تناولته منه وهي تشير إلى وسيلة :

ـ شكراً على أي حال ، وإن كان العقد مكتوب باسم شقيقتي . .

جمع المحامي أوراقه على عجل ونهض كل الحضور لينصرفوا ، فقالت سونيا :

ـ لحظة يا سيدي الأستاذ . . إن هذا المبلغ يكفي لسداد الدين . . وعلى ذلك فإن مزاد البيع لا مبرر له .

حملق فيها باستغراب ، وقال مبهوتاً :

ـ ماذا تعني الآنسة . .

أجابه جعفر ، نيابة عنها :

ـ ما تعنيه واضح لا يحتاج لسؤال . .

قال المحامي على عجل :

ـ هل نُعيد ما دُفع لأصحابه . . ؟؟

أجابته سونيا :

ـ مضافاً إليه الخمسة بالمائة المقرّرة كتعويض في هذه الحالة . .

هز المحامي رأسه وأسرع بمغادرة المكان وهو يكاد يفقد عقله . .

وما أن أُغلق الباب من خلفه حتى سمعوا صوت الخفي يقول :

ـ عمل موفق . . الآن . . إفحصوا أدراج المكتب بعناية . .

بدت عليهم البغتة . . من أين للخفي معرفة الأمر . . ؟؟ وكأنه تنبه إلى ذهولهم فقال متابعاً :

ـ ماذا دهاكم . . ؟ إنهم سيجتمعون على الفور ليدرسوا الخطة ، التي تفسد عليكم عزمكم . .

تمالك مازن روعه وسأله :

ـ وهل باستطاعتهم إلغاء العقد بعد التوقيع عليه . . ؟ أعتقد أن القانون إلى جانبنا . .

أجابه الخفي ببرود :

ـ القانون إلى جانبكم . . هذا صحيح . . ولكن لا يبدو أن هذا رأيهم في الأمر . .

أدركوا أن متاعب في الطريق إليهم ، فقال سامح :

ـ إذن نستعد لعمل ما . . ؟ ؟

أجابه الخفي :

ـ لينزل أحدكم إلى سيارة فيصل ، فسيجد بداخلها حقيبة صغيرة قد تلزمكم محتوياتها . .

أسرع فيصل بمغادرة المكان على الفور عندما قال الخفي :

ـ قد تمضون الليل في مكانكم هذا ، لذلك يجب أن توزعوا نوبات الحراسة ، وكونوا يقظين ، فإن عدوكم لن يتردد في ارتكاب أية جريمة في سبيل الوصول إلى هدفه . .

كانت سونيا ، طوال الوقت ، تتجه بعينيها إلى كل من يتكلم منهم ، ثم تعود للنظر إلى وجه زبيدة ، حيث يصدر الصوت من ناحيتها .

عاد فيصل سريعاً وجلس وفتح الحقيبة . . فوجدها مكدّسة بألوان مختلفة من أشهى المأكولات . . ولما رفع فيصل الطعام من الحقيبة ، ظهرت مسدساتهم الصغيرة الرهيبة ، فابتسم بهدوء وقال :

ـ حمداً لله . . فليحضروا إن رغبوا في الحضور ، فسنقوم باستقبالهم أحسن استقبال . .

هتفت سونيا مشدوهة مما يمر بها ومن هؤلاء الشباب ، الذين أغرقوا أنفسهم حتى آذانهم في مشكلتها ، وهي التي كانت تجهل عنهم كل شيء . . منذ ساعات . .

فجأة قال الخفي :

ـ يمكنكم العمل بكل هدوء . . يجب التوصل إلى رسالة عمك يا آنسة سونيا . .

بدت على سونيا الدهشة الشديدة وقالت بصوت مختنق :

ـ من أنت . . ؟؟

سمعوا صوت ضحكة الخفي وهو يقول :

ـ أنا السائق الذي حمل لكم المال ، وستجديني دائماً إلى جوارك حتى أعيد إليك حقوقك كاملة . . الآن إلى العمل ، ولا تنسوا إحكام إغلاق الأبواب والضرب بكل قسوة عند أول محاولة من الأعداء . .

كانت سونيا تنظر إلى ما حولها ، وكأنها في حلم تتوقع أن تصحو منه على واقعها الأليم . . ولكن نظراتهم الحانية المطمئنة جعلتها تبادلهم حباً بحب ، وقالت باندفاع :

ـ من أين يتسنى له الاتصال بكم . . ؟؟ ومن هو . . ؟؟ أهو أحد أقاربكم . . ؟؟

ضحكوا من سيل الأسئلة المتدفق وقالت فتنة :

ـ دعي الأسئلة الآن ولنباشر من فورنا التفتيش . .

قال جعفر بثقة وهو يتأمل المكتب الفاخر :

ـ لا تزعجوا أنفسكم فسأتوصل إلى مكانه في دقائق . .

ولكن ما حدث كان غير ذلك تماماً . .

بدأ جعفر ، وبعد دقائق من البداية انضموا إليه ، الواحد بعد الآخر ، ومر الوقت ولم يتوصلوا إلى مكان هذه الرسالة . .

قالت سونيا وهي تجهد فكرها لتتذكر أمراً :

ـ إنتظروا لحظة . .

ودارت دورة حول المكتب ثم جلست قبالته وقالت :

ـ نعم . . هذا هو . . إنه هذا الدرج . . إنها في هذا الدرج . .

استبدت بهم الدهشة ، وسألها جعفر :

ـ ولماذا هذا الدرج بالذات . . ؟؟

أجابته بهدوء قائلة :

ـ كنت كلما دخلت ، على غير موعد ، إلى غرفة مكتب عمي أجده جالساً إلى هذا المكتب ، وهذا الدرج بالذات كنت أجده مفتوحاً ولكنه كان يسرع بإغلاقه عند دخولي . .

اتجهوا بكل اهتمامهم إلى الدرج فسحبه مازن حتى نهايته ، وشرعوا في فحصه بدقة . . تحسسوا جدرانه وقاعه ولكنهم لم يعثروا على ما يدل أنهم في الطريق الصحيح . . ؟

قالت نهلة :

ـ لن تجدوا شيئاً ، فمن غير المعقول أن يكون مدخل هذا المخبأ السري أمام الأبصار ، وتحت رحمة أول محاولة للكشف عنه . .

قالت سميرة :

ـ هذا صحيح . .

كان صوتها شبه يائس ، ولكن فيصل قال بحزم :

ـ إسحبوا هذا الدرج خارجاً ودعونا نفحصه بعناية . . سحب مازن الدرج من مكانه إلى حد توقف بعده وظل ثابتاً في مكانه . .

انحنى جعفر ونظر إليه من أسفل ، وأخذ يتحسس خلفيته بأصابعه الحساسة ، وفجأة جمدت يده وقال :

ـ إن اصبعي على نتوء صغير ربما كان هو ما نبحث عنه . .

أسرع اليه سامح ومازن وبعد عدة محاولات سمعوا صوت «تكة» خافتة انفصل الدرج بعدها واستطاعوا سحبه من مكانه . .

التفوا كلهم حول جعفر وعيونهم منصبة على أنامله وهي تبحث عن مخبأ فيه . . وبعد أن تداولته أيديهم أيقنوا جميعاً أنه خال تماماً من أي مخبأ . .

قالت سميرة :

ـ من المؤكد أن ضالتنا ليست في الدرج . .

عاود جعفر الانحناء والبحث ، وفجأة هتف بفرح :

ـ ها هو . .

جلسوا جميعاً ، القرفصاء ، وتأملوا أنامله وهي تسحب ، من تجويف ظهر في جدران المكتب ، مظروفاً أصفر اللون . . مد يده به إلى سونيا التي فضته على عجل . لما نشرت الخطاب وجدته من الورق الفاخر توج

عند زاويته اليمنى العليا بشعار يحمل إسم « الراجا سندار » . .

كان الخطاب موجهاً من الراجا إلى العم المختفي . . دفعت بالخطاب إلى أقربهم ، بعد أن غلبها التأثر ، وكان فيصل . . ثم قالت بصوت خنقته العبرات :

ـ تكرم بقراءته . .

شرع فيصل بالقراءة بصوته الهادىء :

ـ« صديقي العزيز . . لقد عملت بنصحك وأخفيت كل شيء في مكان أمين . . أما ما بته لك فقد احتفظت لك به في كهف الخفافيش . . ستجد في التخطيط المرفق ، على بساطته ، خير مرشد لك للعثور على المكان داخل المغارة ، فأرجو أن يصلني منك ، في القريب ، ما يفيد أنك حصلت على ضالتك ، وفي هذه الحالة تكرم بإيداع الأربعة ملايين المتبقية بحسابي ببنك روما وشكراً . . صديقك سندار . . » .

وكان في أسفل الخطاب رسم توضيحي ، يسهل على من يراه أن يتجه رأساً إلى مكان إخفاء هذه الوديعة . .

قال جعفر باهتمام :

ـ إنه في منتهى الوضوح . .

أجابه سامح بهدوء :

ـ هذا صحيح ، ولكن يجب أولاً العثور على مغارة الخفافيش ، التي تحدث عنها . .

قال فيصل :

ـ وكيف يتسنى لنا معرفة مكانها . . إنه لم يذكر أين تقع ، ولا في أي بلد تقع . . .

جاءهم صوت الخفي يقول :

ـ لا بأس . . سنعرف ذلك في حينه . . عليكم الآن أن تضعوا تقليداً للخطاب والخريطة ، بعد أن تغيروا إسم المغارة ، وتزيدوا عليه إسماً وهمياً لجبل ما . .

أدركوا ما يعني فقالت سميرة :

ـ نسميها مغارة الشياطين بجبال الهمالايا مثلاً . .

ضحك الخفي وقال :

ـ لا بأس . . المهم أسرعوا حتى تغادروا المكان . .

كان صوته قلقاً ، فانكب جعفر على كتابة الخطاب المطلوب وطواه ثم داسه بقدمه من كل جانب ودسه في التجويف ، وأعاد الدرج إلى مكانه ، فقال الخفي :

ـ يمكنكم اصطحاب الآنسة سونيا . . ولكن عليكم اتخاذ الاحتياطات المعتادة . .

وبعد دقائق كانوا يغادرون المكان جماعات حيث استقلوا السيارتين ، وانطلقوا بها إلى المخبأ . .

كان الطريق آمناً تماماً حتى قال جعفر ، وهو يلتفت خلفه :

ـ يا لها من مغامرة غامضة غير منتظرة . .

أجابه علي :

ـ ولكن يبدو أنهم أقل علماً بالتفصيلات مما قدره الخفي .

ولكن ما كاد ينتهي من كلماته حتى هتف بذعر :

ـ توقف يا مازن . . لقد اختفت السيارة الأخرى .

أوقف مازن السيارة بعد عدة أمتار وغادروها على عجل . . كان الطريق خالياً تماماً إلا من سيارتهم وحدها . .

قال جعفر بقلق :

ـ أين ذهبوا . . ؟؟

كانوا يتجهون بنظراتهم في جميع الاتجاهات ، ولكن لم يجدوا أثراً للسيارة ومن فيها . .

قال مازن وهو يستدير مسرعاً :

ـ كان يجب أن نكون نحن في الخلف . .

كان على حق فقد غلبهم الاعتقاد بسلامة الطريق، ولم يحتاطوا للأمر.

تابع مازن:

ـ أسرعوا إلى السيارة . . سنعود أدراجنا للبحث عنهم . .

واستدارت السيارة وانطلق بها مازن بعصبية يسابق الريح . . فقال جعفر بغضب :

ـ كانوا أقرب إلينا مما ظننا . .

قالت سميرة :

ـ اتعتقدون أنهم تعرضوا لعملية اختطاف . . ؟؟ ولكن كيف . . ؟؟

أجابها فيصل وهو لا يقل غضباً :

ـ كيف تم ذلك ؟ هذا ما لا نعرفه ، أما كونهم اختطفوا فهذا أمر على ما يبدو صحيح . .

كانت السيارة تقطع الطريق بسرعة رهيبة ، وقبل أن يصل مازن إلى المنحنى الخطر هدّأ من سرعة السيارة، وقبل أن يجتازوه قالت سميرة بذعر:

ـ يا إلهي . . ها هي السيارة أمامنا . .

التفتوا جميعاً فشاهدوا السيارة راقدة على جانبها ، ولا أثر يدل على

وجود أحدٍ منهم فيها، فاتجه مازن نحوها على عجل، وقفزوا من سيارتهم، قبل أن تتوقف ، واندفعوا نحو السيارة المقلوبة .

فتح مازن الباب بعد أن اعتلاه وهتف :

ـ إنهم هنا . .

قبل أن يمد يده كان رفاقه إلى جواره يتعاونون على إخراجهم من السيارة . . كانوا جميعاً في غيبوبة . . ولما انتهوا من إخراجهم هتفت نهلة بصوت متقطع يغلبه النعاس :

ـ اختطفوا وسيلة وسونيا . . سيارة بويك بيضاء . . أرقامها من اليمين ٧٥٦ .

وسكتت ، فقال سامح :

ـ تعرضوا لتخدير قوي . . لا بأس . . علينا أن نقسم أنفسنا فيبقى بعضنا هنا إلى جوارهم ، حتى يستردوا وعيهم ، ويُحاول الباقون اللحاق بالخاطفين . .

ركب مازن وسامح في المقعد الأمامي ، بينما جلس كل من فيصل وجعفر وبومدين في المقعد الخلفي . . قال سامح بقلق :

ـ لماذا اختطفوا وسيلة طالما أن هدفهم هو سونيا . . ؟؟

لم يجبه أحد لأن حالتهم لم تكن تسمح بالتفكير ، فقال متابعاً :

ـ إنهم يعرفون عنا أكثر بكثير مما نتصور . .

فغر جعفر فاه مشدوهاً وقال :

ـ يا إلهي . . أتريد أن تقول أنهم يعلمون بأن وسيلة هي التي تتحدث إلى الخفي . .

قال مازن وهو مقطب :

ـ وهذا هو السبب الوحيد الذي من أجله اختطفوها . .

قال جعفر بصوت مهتز من شدة الانفعال :

ـ وبالتالي يعرفون بوجود الخفي . .

كانوا قد قاربوا الوصول إلى نهاية الطريق ، وأصبحوا على بعد يقل عن أربعة كيلومترات عن المدينة ، عندما لمحوا سيارة بيضاء تقف إلى جانب الطريق . .

هتف مازن :

ـ ها هم . . سنلحق بهم . .

واندفعت السيارة بكل قوتها ، يساعدها انحدار الطريق ، لتصل إلى مكان السيارة ، فانحرف مازن عن الطريق وأوقفها فقفزوا منها وبأيديهم مسدساتهم متأهبين . . ولكن السيارة كانت خالية من ركابها ، فوقفوا حائرين مبهوتين حتى قال سامح :

ـ لا بد أنهم في مكان قريب . .

تلفتوا حولهم ولكن المكان كان خالياً تماماً من أي أثر يدل على وجودهم . . فقال مازن وهو يعود مسرعاً إلى السيارة :

ـ هيا بنا من هنا . . لا شك أن سيارة أخرى كانت بانتظارهم .

دوّن جعفر رقم السيارة وأسرع ليقفز إلى السيارة التي تحركت . قال سامح :

ـ ما معنى هذا . . ؟؟

أجابه فيصل :

ـ إنهم يعملون ببراعة ودهاء . .

التفت إليه متسائلاً وقال :

ـ هل استنتجت شيئاً . . ؟؟

أجابه بهدوء :

ـ إنه أمر واضح لا يحتاج إلى تكهن . . لا شك ان هذه السيارة ما تركت هنا إلا للزيادة في تضليلنا . .

سأله بومدين بعصبية :

ـ ماذا تعني يا فيصل . . ؟؟

ـ أعني أن هذه السيارة ليست لهم وإلا ما تركوها لترشدنا عنهم . .

أجابه جعفر على الفور :

ـ هذا صحيح . .

ونظر إليهم الواحد بعد الآخر وقال :

ـ وبعد . . ؟؟ أسنسير هكذا متخبطين على غير هدى . . ؟؟

دون وعي أبطأ مازن من سرعة السيارة وقال ، وكأنه استفاق من حلم :

ـ حقاً ! إلى أين . . ؟؟

لم يملك أحدهم الإجابة فلزموا الصمت حتى برز من جانب الطريق فلاح يركب حصاناً ، فأوقف مازن السيارة إلى جواره وحياه ثم قال متسائلاً :

ـ هل صادفتك سيارة بداخلها فتاتين وبعض الشباب . .

استعرضهم الرجل بنظرة سريعة ، ويبدو أنه لمح اللهفة الظاهرة عليهم ، ثم قال :

ـ نعم . . أهم أصدقاء . . ؟

أجابه جعفر بلهفة :

ـ بالطبع . . هلاّ أرشدتنا إلى الطريق الذي سلكته سيارتهم . . ؟؟

قال الرجل بغضب :

ـ ألا تخجلوا من أنفسكم لتقولوا أنهم أصدقاء . . ؟؟

بهتوا من ثورة الرجل المفاجئة وقال سامح :

ـ ولماذا نخجل . . ؟؟

أجابه وثورته في قمتها :

ـ لأنهم كادوا يقتلونني وحصاني . . ألا يكفي هذا . . ؟

قال مازن برجاء :

ـ نقدم لك اعتذارنا، فقط نرجوك إخبارنا باتجاههم الذي سلكوه . .

لم يجب الرجل فقال بومدين :

ـ تكلم يا رجل . يجب ان ننقذ الفتاتين . .

وقال سامح :

ـ لقد اختطفوهما يا رجل فنرجوك لا تضيع المزيد من الوقت .

اهتز الرجل للخبر والتفت مشيراً إلى طريق ، من بين أربعة يتفرع منها طريق الجبل . . ثم قال :

ـ إنها سيارة حمراء واتخذت هذا الطريق . . أرجو لكم التوفيق . .

لم ينتظروا ليسمعوا ما تمنى لهم ، فقد انطلقت السيارة كالسهم في الطريق ، الذي أشار إليه ، ولو فكر أحدهم بالنظر خلفه للمح الابتسامة ، التي ارتسمت على وجه الفلاح ، الذي وقف بحصانه جانباً وانحنى بعنقه قليلاً وأخذ يملي أوامره لوسيلة . .

إنه الخفي يظهر دائماً في الوقت المناسب . .

مفاجأة في الطريق

كانت السيارة تكاد تطير عن الأرض ، من شدة سرعتها ، عندما لمحوا فتاتين تقفان جانباً وتلوحان لهما بأيديهما ليقفا . .

هتف جعفر ، الذي تبينهما ، وهو يكاد يطير فرحاً :

ـ إنهما هما . . توقف يا مازن . . إنهما هما . .

اختلطت أصواتهم الفرحة، ووقفت السيارة على الفور ، فتقدمتا منها على عجل وقالت وسيلة :

ـ أسرعوا بنا من هنا . .

وقالت سونيا :

ـ سيكتشفون الحقيقة ويعاودون الكرة . .

استدار مازن بالسيارة راجعاً ، وسألها سامح :

ـ كيف حدث لكم ذلك . . ؟

وقال جعفر بحيرة :

ـ وكيف تم . . ؟؟

أجابته وسيلة ، التي لا تعرف الخوف ، باضطراب :

ـ في لحظات نفذوا خطتهم الدقيقة . . طمئني أولاً . . هل أصيب أحد بمكروه . . ؟؟

أجابها جعفر :

ـ تركناهم جميعاً في غيبوبة . .

اتسعت عيناها ، من شدة الذعر ، وقالت مستنكرة :

ـ يا إلهي . .

قالت سونيا :

ـ ولكن كيف تسنى لهم ذلك . . ؟

أجابها مازن :

ـ سنعرف ذلك إذا ما فحصنا السيارة . .

رفعت وسيلة رأسها بحدة ، وأشارت لهم ليسكتوا . وعلى غير العادة لم يسمعوا صوت الخفي الذي اكتفى بأن يبلغ وسيلة رسالته بأنه هو الذي أنقذهما . وعليهم التوجه فوراً إلى المخبأ ، بعد أن تم نقل الجميع إلى مكان أمين ريثما يسعفوا ويلحقوا بهم . .

نقلت إليهم وسيلة الخبر فازداد ابتهاجهم وشعروا بقوتهم بوجود الخفي . . قالت سونيا :

ـ يخيل إلي أنني صحوت من كابوس رهيب . .

أجابها بومدين :

ـ هل استيقظت حقاً . . ؟؟

قال كلماته بنغمة خاصة تنبهت لها سونيا فقالت :

ـ ماذا تعني . . ؟

أجابها فيصل بهدوء :

ـ إنه يعني أننا في بداية الحلم الذي سبب هذا الكابوس .

وعندما اقتربوا من المكان ، الذي خلّفوا فيه رفاقهم وجدوا المكان خالياً ودخاناً كثيفاً ينتشر من حطام السيارة ، التي استحالت إلى قطعة من جهنم . .

قال مازن :

ـ إنه الخفي . . هو الذي أحرقها حتى لا يتعرفوا على أصحابها من السجلات . . ؟؟

قال بومدين :

ـ وهل يكفي الحريق لطمس أرقامها . . ؟؟

كانوا قد وصلوا إلى مدخل المخبأ فاعتذرت وسيلة من سونيا وعصبت عينيها ، بمنديل حريري كبير ، دون أن تعترض هذه على ذلك . وعندما رفعوا العصابة عن عينيها كانوا قد وصلوا إلى البهو المريح . . فركت سونيا عينيها براحتيها وقالت :

ـ أخيراً وصلنا . .

ونظرت حولها دهشة من فخامة المكان ثم قالت بإعجاب :

ـ يا لها من شقة جميلة . .

قالت وسيلة :

ـ إنه مكان مريح وأمين فتصرفي كأنك في بيتك . .

جاء صوت الخفي ، فتسمروا في أماكنهم . . إنهم لهفين لسماع ما لديه من أخبار . ولكن ما أن نطق أول كلماته حتى أدركوا على الفور أنه

في قمة غضبه ؛ إذ قال بصوت هادر :

ـ أهكذا تكون حمايتكم للفتيات . . ؟؟ أبهذه السهولة تخدعون . . ؟ حمداً لله أنهم لم يقضوا عليكم جميعاً ، وكان ذلك ميسوراً لهم في أكثر من فرصة . .

لزموا الصمت بخجل . . إنه على حق . . لقد كانوا في منتهى السذاجة عندما حدث ما حدث ، واختطفوا من بينهم وسيلة وسونيا .

استطرد الخفي يقول :

ـ آنسة سونيا . . إطمئني على قضيتك ، فقد تولّتها عنك أيدٍ أمينة ستعيد إليك حقك كاملاً . .

قال بومدين بصوت متردد :

ـ نعتذر عن هذا الخطأ البشع . .

وقال بعده مازن :

ـ حقاً كان خطأ فادحاً . .

أجابهما الخفي بصوت أقل حدة ، وإن كان صارماً قاطعاً :

ـ يبدو أنكم تحتاجون لبعض الراحة ، لذلك لن تقوموا بهذه المهمة . .

اعتصر الألم قلوبهم ونطقت به وجوههم الشاحبة ، من شدة الانفعال ، حتى قال بومدين ، دون تفكير وبحدة ملحوظة :

ـ لقد اعترفنا بأننا أخطأنا ولذلك فنرجوك ان شئت عقابنا ، أن يكون هذا بعد عودتنا من هذه المهمة . .

قال الخفي :

ـ دائماً عصبي المزاج ، حتى أصبحت تخلط الأمور ، ولا تأخذ منها إلا ظاهرها . . وإلا . . لعرفت بأنني عندما أقدم على إحراق سيارة ثمينة لن أكون غبياً إلى حد ترك لوحتها أو رقم محركها دون أن أزيله تماماً . .

ابتسم بومدين وأدرك أن نوبة الغضب آخذة في الانقشاع لذلك قال :

ـ حقاً ما أغباني . .

ضحك الخفي أخيراً ، ومعنى ذلك أن ما جرى لن يتردد مرة أخرى على لسانه ، ثم قال ببساطة :

ـ عليكم أن تستعدوا للرحيل . .

تهلّلت وجوههم فرحاً ، وسأله مازن السؤال التقليدي :

ـ بماذا يكون السفر . . ؟؟

أجابه الخفي بمرح :

ـ بالزورق طبعاً ، وإلا لماذا دفعنا هذا المبلغ الباهظ ثمناً له ؟ زودوه بالهليكوبتر فقد تحتاجونها . .

قال سامح :

ـ ومتى سيكون الرحيل . . ألن ننتظر حتى يستردوا وعيهم ؟

أجابه الخفي :

ـ لا . . بل ترحلون بعد ساعة واحدة . . حتى بعد أن يستفيقوا ستكون أعصابهم مضعضعة . . إرحلوا أنتم ، وإن شاءت الآنسة سونيا البقاء فيمكنها ذلك . .

أجابته سونيا من فورها :

ـ لا ، أرجوك . . دعني أذهب معهم . .
مرة اخرى ضحك الخفي وقال :

ـ لا بأس . . كنت أتفاءل دائماً بالرقم ١٣ ، ولكن لا بأس من أن تصبحوا ١٤ ولو لمغامرة واحدة . .
ولدهشتهم قالت سونيا :

ـ وإذا ثبت انني أصلح فسأكون عضواً دائماً ، فهل تمنحني هذا الشرف . . ؟؟
وكأنه كان ينتظر هذه الإجابة ، فقال بجدية :

ـ لك هذا ، فإنك في خطر داهم حتى نضع أيدينا على القتلة .
رددت بذهول :

ـ قتلة . . ؟؟ هل قاموا بقتل أحد . . ؟؟
أجابها مؤاسياً :

ـ نعم يا آنسة . . إن عمك ذهب ضحية جشعهم ورغبتهم في الاستيلاء على ما لا حق لهم فيه . .
ندت عنها صرخة خافته وقالت :

ـ رباه . . أقتلوه حقاً . . ؟
أجابها بهدوء :

ـ وبعد شهر واحد من اختطافه . .
أمسكت وسيلة بساعدها تضغطه مواسية مشجّعة :

ـ إننا لا نبكي عادة في مثل هذه المواقف ، ولا يُسمح لنا حتى بالحزن

قبل أن نرد الضربة ونقتص من الجناة . .
قال الخفي بإعجاب :

ـ ومع ذلك فلا يملك الإنسان إلا أن يحزن . .
قالت سونيا بصوت منفعل :

ـ إن هذا يزيد من إلحاحي في الانضمام إليكم . .
قال الخفي :

ـ إذن ، إستعدوا للإقلاع ، ولأول مرة أقول لكم استعدوا جيداً فإنها رحلة ليست سهلة . .
قال جعفر :

ـ أهناك احتمال لقاء مع هؤلاء . . ؟
قاطعه الخفي قائلاً :

ـ بل من المؤكد أنكم ستلتقون بهم ، إلا إذا كانوا قد صرفوا نظرهم عن الحصول على الثروة الكبيرة . .
دهش سامح وسأله :

ـ أتعني أنهم يعرفون الطريق إليها . . ؟؟
سمعوا صوت ضحكته المكتومة قبل أن يجيبه قائلاً :

ـ وأنتم كنتم بطريق غير مباشر خير مساعد لهم . . ألم تكتبوا في الخطاب المزور أن المجوهرات في مغارة بجبال هيمالايا ؟
استبدت بهم الدهشة من ضحكاته المتتالية، فقالت سميرة :

ـ هذا ما كتبناه فعلاً . .
أجابها الخفي :

- وبالطبع لم يدر في ذهنكم أن مغاراة الخفافيش تقع في جبال هيمالايا . .

قالت سميرة :

-- ولكننا لم نسمِّ المغارة باسم الخفافيش . . ؟ لقد سميناها الشياطين . .

أجابها الخفي مغيراً من لهجته المرحة :

- ولسوء الحظ أن مغارة الشياطين بدورها لها وجود،وتقع كذلك في جبال الهيمالايا ، وعلى بعد قصير من مغارات الخفافيش الدموية .

قال مازن باستغراب :

- يا له من أمر غريب . . ولكني سمعتك تقول مغارات الخفافيش الدموية . .

أجابه الخفي :

- نعم . وهذه هي الحقيقة . . بجبال الهيمالايا منطقة معينة تتوالد بداخلها هذه الخفافيش الرهيبة . .

تسمّروا وشخصت أبصارهم ناحية وسيلة ، عندها تابع الخفي :

- لقد حصلت على هذه المعلومات من مصدر موثوق به ، وعزائي الوحيد ، في هذا اللَبْس ، أَن للخفافيش عدة مغارات تسكنها وتعرف بأسمها ، أما الشياطين فليس لهم إلا مغارة واحدة . .

أجابته سميرة بابتهاج :

- كأنها قصة خيالية . .

أجابها الخفي بقوله :

- لعبت المصادفة دوراً كبيراً ، ولكن بالرغم من ذلك فأعتقد أن اللقاء بهم أمر لا مفر منه . .

سأله سامح :

- ولماذا هذا التأكيد طالما أن مغارة الشياطين تقع بعيداً عن مكان وجودنا . . ؟؟

أجابه الخفي :

- ولكننا ، وحتى الآن ، نجهل أي مغارة منها هي المعنية ، وهل هي قريبة من مغارة الشياطين أم بعيدة . . عند وصولكم ستكون قد وصلتني مجموعة جديدة من المعلومات الهامة . ومع المرافق الذي سيكون برفقتكم ستجدون خريطة مفصّلة للممرات الموصلة إلى الجبال وإلى المغارات الشهيرة . . الآن أتمنى لكم رحلة موفقة وسألتقي بكم على الهواء إذا جدّ جديد . . لا توقُّف إلا في ميناء صغير في مقاطعة معروفة باسم الراجا سندار ، وموضحة كل المعلومات التي تريدونها في الخطاب الذي سيصلكم خلال دقائق . . إلى اللقاء . .

تركهم مبهوتين للحظات ساد خلالها الصمت حتى قال مازن :

- يخيل إلي أنني أشاهد فيلماً تلفزيونياً مسلسلاً . .

أضاءت لوحة صغيرة بنور أحمر متقطع فقال جعفر :

- لا شك أنه رسول الخفي . .

وذهب ليعود بعد قليل حاملاً مظروفاً مختوماً ، تناوله منه مازن وفضّه وطالع ما فيه ونشر الخريطة الصغيرة ثم قال :

- جميل . . الآن عجّلوا بالحقائب وكل ما سنحتاجه للرحلة ،

وسأقوم بالفحص الروتيني للزورق . .

واستحال المخبأ فجأة إلى ما يشبه خلية النحل ؛ فقد تفرقوا ذات اليمين وذات اليسار يختفون ليعاودوا الظهور في حركات سريعة منظمة .

وانتهوا سريعاً من مهمتهم ، وأتجهوا ناحية قسم الحظائر حيث يرسو الزورق في انتظارهم . . وكان سامح هو آخر من صعد إلى ظهره ، ثم سرعان ما انفصل الزورق الجبار عن مرساته ألكترونياً وتحرك ببطء نحو البوابة الأخيرة ، التي تفصل الميناء السري عن البحر الواسع . .

ضغط مازن على أحد الأزرار أمامه فإذا بهدير يسمع مع أزيز خافت ، وانشقت البوابة الرائعة عن البحر ، وكان تشغيلها هو ما يستحق الإعجاب بعد أن نجح الخفي في اختيار هذا المهندس الداهية الذي قام بإعداد المخبأ . .

ومرة أخرى ضغط مازن على زر مجاور فتكرر الأمر وعادت البوابة سيرتها الأولى . .

زاد مازن من سرعة الزورق رويداً رويداً ، حتى ابتعدوا عن الشاطىء مسافة كافية ، فأطلق له العنان وتركه للتوجيه الآلي ريثما يتناول طعامه استعداداً للطيران .

براعة في التنفيذ

لّما انتهوا من تناول طعامهم قال مازن :

ـ نشرب الشاي وبعدها الطيران . .

وجلسوا يحتفون بسونيا ، التي لزمت الصمت وكأنها تدرس ما حولها لتساهم بأي عمل تجد أنها قادرة على المساهمة به . ولم تخفَ عليهم حالتها فقالت نهلة وهي تضحك :

ـ لا تستعجلي المعرفة ، فأمامك الكثير لتعرفينه وبعدها تصبحين مثلنا تماماً . .

ابتسم جعفر وقال برفق :

ـ ليس معنى هذا أنها مهمة شاقة ، أو تستغرق وقتاً طويلاً . .

التفتت سونيا إليه وهزت رأسها شاكرة عندها قال بومدين :

ـ بعد الطيران مباشرة ستباشرين أول واجباتك . .

وبعد دقائق كان كل منهم يشرب ببطء من قدحه ، عندما قال فيصل وهو يجهد ذاكرته ليتذكر :



ـ أذكــر أنني قـرأت في أحــد الكتب شيئــاً عن هــذه الخفــافيش الدموية . .

ركزوا أبصارهم عليه . عند ذلك أردف فيصل متابعاً :

ـ ومما قرأته أنها بالفعل دموية مفترسة . .

قال جعفر :

ـ خفافيش مفترسة . . ؟؟ يا لها من طرفة . .

أجابه سامح متدخلاً في الحديث :

ـ إنها ليست طرفة يا جعفر . . لقد قرأت بدوري عنها . .

بدت البغتة على وجوه الجميع ، فلما قال بومدين :

ـ أما أنا فقد رأيتها في بلادي . .

سألته سونيا باهتمام :

ـ وهل يوجد منها في بـلادك . . ؟؟ وإن كنت أجهل حتى الآن من أي بلد أنت . .

أجابتها فتنة موضحة :

ـ إنه من القطر الجزائري الشقيق . .

هزت رأسها محيية ، فأردف بومدين يقول :

ـ سـألتني الآنسـة عن هـذه الخفـافيش . . إنها مـوجـودة بكثـرة في بلادي ، وإن كانت تسكن في المغارات الجبلية . .

سألته سميرة باهتمام :

ـ صفها لنا يا بومدين . . أهي كبيرة الحجم . . ؟؟

أجابها قائلاً :

ـ نعم . . إنها كبيرة . . في حجم الأوزة الكبيرة واتساع أجنحتها يصل ، في البعض منها ، إلى متر ونصف المتر . .

شهقت نهلة بدهشة . .

ـ يا إلهي . . إنها مخيفة إذن . .

قال سامح :

ـ طالما أن بومدين رآها فهو أصدق من كل ما قرأناه عنها . . هل تمتاز حقاً بأنياب بارزة كبيرة . . ؟

هز بومدين رأسه إيجاباً وقال :

ـ وتستعملها في إحداث ثقبين في عنق ضحيتها لتمتص منه الدماء . .

ظهر الاشمئزاز على وجوههم وتساءلت سونيا :

ـ وهل تهاجم الإنسان . . ؟؟

مرة أخرى هز بومدين رأسه وقال :

ـ الأطفال الرضع فقط . . وفي حالة ذعرها تهاجم للدفاع عن نفسها ، خاصة إذا هوجمت في أوكارها . .

نهض مازن من مكانه بعد أن شاركهم الحديث وقال :

ـ سأذهب إلى غرفة القيادة . .

قالت نهلة :

ـ ليتنا ننال بعض الراحة . .

نظر جعفر إلى ساعته وقال :

ـ لا أشعر برغبة في النوم . . سأذهب إلى مازن . .

وانضم إليه فيصل وبومدين بينما انصرفت الفتيات الى مخادعهن ، وفضل خالد وباسم مشاهدة برامج التلفزيون . . .

انتبه رجب إلى أن سامح لم يبرح مكانه فتقدم منه وقال :

ـ وأنت يا سامح . . هل ستنام أم تبقى . .

أجابه بهدوء :

ـ أود أن أسترخي في مكاني فلدي ما أفكر فيه . .

جلس رجب إلى جواره وقال :

ـ الحق أنا في حيرة من أمر ، لم أرغب في الجهر عنه للجميع . .

تأمله سامح برهة ثم قال :

ـ وما هو هذا الأمر يا ترى . . ؟؟

أجابه رجب :

ـ من أين لنا معرفة المغارة التي عناها المهراجا في رسالته . ؟

تنهد سامح بحيرة وقال :

ـ أهذا الذي تخشى الجهر عنه . . ؟؟ أؤكد لك أن الجميع يفكرون في الأمر تفكيرك وتفكيري فيه . .

قال رجب بتردد :

ـ ترى هل يوفق الخفي في معرفة المكان . . ؟؟

أجابه سامح باسماً :

ـ لو كان في الوقت فسحة لفعل ، فما خفت عليه خافية شاء أن يعرف مكنونها . .

التفت رجب إلى وسيلة التي ظهرت متقدمة إلى ناحيتها . . فلما

أصبحت إلى جوارهم قالت :
ـ لقد اتصل الخفي منذ قليل . .
سألها رجب بلهفة :
ـ وماذا قال . . هل من جديد . . ؟؟
جلست في المقعد المجاور لهما وأجابته :
ـ قال إن كل شيء على ما يرام ، وأنه أجرى من الاتصالات ما يؤمِّن به نجاح مهمتنا . .
هز سامح رأسه بإعجاب وقال :
ـ يا له من زعيم لا يغفل أمراً مهما بدا للعيان ضئيلاً .
تفرّست وسيلة في وجهه متسائلة ، فقال متابعاً :
ـ ما أعنيه هو المجهود الضخم الذي بذله للوصول إلى هذه المعلومات التي تحدث عنها . .
ظهر مازن خارجاً من غرفة القيادة ، وكلهم خلفه ، وتوقف على بعد خطوات من مكان سامح وقال :
ـ يجب أن نخلد للراحة جميعاً . . لقد درست هذه الخريطة ، واعتقد أنه من السهل معرفة مكان المغارة . .
دهش الجميع لهذا التصريح وسأله سامح :
ـ كيف . . ؟؟ هل توصّلت لمعرفة شيء . . . ؟؟ هل اتصل بك الخفي . . ؟؟
اتخذ له مكاناً ونشر الخريطة ، وأشار بقلمه إلى منطقة علّمها بالقلم الأحمر ، وقال :

ـ لا . . ولكن اسم المهراجا المكتوب على هذا الجزء من الخريطة يدل على أن المغارة في هذا الجزء من الجبل . .
تأملوا الخريطة وكان اسم المهراجا يحتل أكثر من مكان مظلل بلون أحمر خفيف لتمييزه ، فقال فهد :
ـ إن هذا الجزء المظلل كان حدود أملاك المهراجا السابق ، ومن غير المعقول أن يخرج من حدوده ليخفي مجوهراته في مكان غير آمن . .
أجابه جعفر :
ـ معقول جداً هذا التفسير . .
ورفع سامح رأسه مستفسراً وقال يسأله :
ـ وماذا بعد أن حددنا ، على وجه التقريب ، مكان المغارة . . ؟؟
أجابه ببساطة :
ـ لا شيء بالطبع . . سنذهب إلى هناك رأساً . .
اتسعت عيونهم من شدة الدهشة وسأله جعفر :
ـ ماذا تقول . . . ؟؟ نذهب إلى هناك رأساً ولا نتّبع ما أمر به الخفي . .
أجابه مازن موضحاً وجهة نظره :
ـ لقد اتفقنا جميعاً على أن مكان المغارة لم يعد لغزاً خافياً ، فلماذا لا نفاجىء الخفي وننجز المهمة ونخرج عليه بنتيجتها . . ؟
أجابه بومدين بشك :
ـ أخشى أن يكون الأمر غير ما تصورته وتصورناه . .
التفت مازن ناحيته بحدة وقال :

ـ ماذا تعني . . ؟؟

أجابه ببرود :

ـ أعني أن الخفي ، الذي زودنا بالخريطة ، لا بد وأن الخاطر نفسه مر بباله ، ولو كان واثقاً ثقتنا نحن بمكان المغارة ما تردد لحظة في إخبارنا بذلك . .

قال جعفر ناصحاً :

ـ أرى أن نستمر في الطريق الذي رسمه لنا ، وإذا اتصل بنا قبل الوصول صارحناه بما نظن ، وقطعاً سنجد عنده الخبر اليقين .

نهض مازن من مكانه ليعود أدراجه إلى غرفة القيادة عندما سطع نور أخضر ، في جانب من المكان ، وسُمع على أثره صوت الخفي يقول :

ـ بعد الهبوط تستقلون مع الدليل الهليكوبتر ، وتهبطون بها على حدود أملاك الراجا من ناحية الجبل . .

قال مازن بحماس :

ـ في المنطقة الواقعة في الجانب الغربي من الحدود ، والمظلّلة باللون الأحمر أليس كذلك . . ؟؟

أجابه الخفي بهدوء :

ـ نعم . . وسيصحبكم الدليل بعدها إلى مغارة يعتقد أنها هي المعنية ، ولذلك يجب أن تبقى الفتيات بعيداً أثناء اقتحامكم المكان حتى لا يتعرضن للتشويه . .

نظروا إلى بعضهم بحيرة وسارع جعفر بالسؤال :

ـ التشويه . . ؟؟

أجابه الخفي :

ـ نعم ، التشويه . . إن المكان رهيب ، ولم يسبق لأحد اقتحامه ، ويخشى الجميع الاقتراب منه لكثرة ما بداخله من هذه الخفافيش الدموية . .

سأله بومدين :

ـ إذن كيف تسنى للمهراجا إخفاء كنزه بداخله . . ؟

قال الخفي :

ـ كان عليه أن يرتكب الصعب من الأمور ، في سبيل الحفاظ على أمواله . . لقد فكرت في الأمر وأعددت لكم ما يحميكم أثناء اقتحامكم للمكان . . بقي أمر آخر ، لا تحتفظوا معكم بأي شيء له بريق ؛ فقد علمت أن الخفافيش هذه تهاجم ، وحتى الموت ، أي بريق .

قال سامح بدهشة :

ـ لا شك أن المكان مظلم وعلينا استعمال مصابيحنا اليدوية .

أجابه الخفي :

ـ هذا صحيح ، وستتعرضون بسببها لهجوم عنيف منها ، ولكن ليس هذا ما أعنيه . . إن الخفافيش تصاب بلون من الجنون عندما ينعكس الضوء على زجاج ساعة مثلاً ، أو على حجر كريم حتى يقال أن المهراجات ، في عهودهم الغابرة ، كانوا يستعينون بها ، بعد ترويضها ، في العثور على أماكن مناجم الذهب والأحجار الكريمة . .

سأله فيصل بدهشة :

ـ وكيف يتسنى لها معرفة مكانها وهي داخل الأرض . . ؟؟

أجابه الخفي بما أدهشهم جميعاً :

ـ يقال إنها تتمتع بحاسة معينة تجعلها ترتاح إلى سكنى الأماكن القريبة من المناجم وأول ما تفعله ، عندما يقبل الليل ، هو زيارتها وخمش الأرض فيها بأظافرها الحادة ، ومن هنا يتأكد مروّضها ان بالمكان معدناً ثميناً من نوع ما . .

ازدادات دهشتهم وقال فيصل :

ـ وهل يعقل هذا . . ؟؟

أجابه الخفي باقتضاب :

ـ سواء كان ما قيل حقيقة أو ضرباً من الخيال فإن ما يهمنا ، في سبيل الحفاظ على سلامتكم ، هو معرفتنا لطباع هذه الخفافيش . والآن عليكم أن تنالوا بعض الراحة فرحلتكم في الغد شاقة . . انتهى . .

قال مازن ، بعد فترة صمت :

ـ ترى ماذا أعدّ لحمايتنا . . . ؟

ضحك فيصل وقال :

ـ سنعلم ذلك عندما نهبط إلى الأرض . .

الكهف المخيف

حط مازن بالزورق على سطح الماء ببراعة فائقة ، واتخذ طريقه رأساً إلى الميناء الصغير ، حيث رسا به برفق . وما كاد يفعل حتى تقدم من سقالته أربعة من الهنود يحملون صناديق من الكرتون . .

قال أولهم وهو يبتسم :

ـ أهلاً بكم . . هذه لكم عليكم ارتداءها قبل الطيران . .

أخذوا منهم الصناديق مقفلة كما هي ، وصرف الرجل أتباعه وبقي بمفرده ، فقال سامح :

ـ ومتى سيكون الرحيل . .

أجابه باسماً :

ـ عندما تنتهون من ارتداء هذه الملابس فأمامنا بحث طويل .

فتحوا الصناديق فإذا بداخلها ملابس مما يرتديه المتبارزون بالسيف . . أغطية للرأس من الصلب الدقيق وقفازات سميكة . .

قال جعفر بإعجاب :

- رائع . .

ظهرت وسيلة تتقدم الفتيات وكن دهشات مستغربات . . فكيف تم الهبوط الى البحر ثم الرسو في الميناء دون أن يشعرن بذلك . . ؟

لما وقع بصرهن على الملابس الغريبة قالت نهلة مستفسرة :

- ما هذا . . ؟ ستشتركون في مباراة للعب الشيش . ؟

واجهها سامح بأوامر الخفي بقوله :

- إنها للوقاية من هجمات الخفافيش المنتظرة ولعلمكن . . صدرت الأوامر بأن تظلوا بعيدات عن المغامرات . .

أجابته سميرة محتجة :

- ولماذا . . ؟؟

جاء صوت الخفي صارماً قاطعاً :

- لا يحق لك السؤال يا سميرة . . سترافقونهم في الطائرة فقط ، ولن تشتركن في اقتحام المكان معهم . .

ظهر التأثر على وجوههن فقال الخفي وكأنه بينهم وشاهد وقع الأمر عليهن :

- قد يكون الأمر جافاً ولكن بعد عودتهم ستدركن لماذا أبقيتكن بعيداً . .

وبعد دقائق كانت الهليكوبتر الضخمة ترتفع من مكانها على ظهر الزورق وتغيب في السماء باتجاه الجبال العملاقة . .

قال الدليل مشيراً بإصبعه إلى قافلة من السيارات تتجه نحو الجبل :

- أنظروا . . إنها قافلة من أربع سيارات غادرت الميناء قبل وصولكم بساعة . .

قال مازن :

- وهل تظن أن وجهتهم المغارات . .

أشار الدليل الى طريق يخترق الجبال متلوياً كالثعبان وقال :

- إن الطريق الوحيد ، الذي يوصل إلى منطقة المغارات ، هو هذا الطريق الذي ترونه . . عليهم السير فيه حتى نهايته ، بعدها عليهم قطع باقي الطريق في سير شاق على الأقدام . .

قال جعفر وعيناه الحادتان لا تلتفتان عن السيارات ، وكانت كلها من طراز جيب القوي :

- ولكن كيف تسنى لهم الوصول بهذه السرعة . . ألم يكونوا بالأمس في بيروت . . ؟؟

أجابه فيصل ببساطة موضحاً :

- لاشك أنهم كانوا هنا وتلقوا معلومات من بيروت فسارعوا ، على أثرها ، في التنفيذ . .

ومرت ساعة ،وغابت السيارات عن أنظارهم ، عندها قال الدليل :

- لقد اقتربنا ، وها هي مغارة الشياطين وبعدها ندخل إلى منطقة مغارات الخفافيش . .

قال مازن ،مشيراً الى بقعة فسيحة نوعاً :

- يمكننا الهبوط في هذه البقعة . . أتعتقد أنها مناسبة . .

قال الدليل بحزم :

- إنه مكان مناسب جداً . . يمكنك الهبوط . .

وحطت الطائرة في المكان بسهولة ، وأوقف محركها واتجه الدليل إلى الباب وفتحه وهو يقول :

ـ عاونوني عـلى إشعالهـا . .

كان يحمل صندوقاً ظل مغلقاً حتى فضه وكشف عما بداخله فإذا بـه مواقد غازية ، مما يستعمله العمال في لحام الثقوب وصهر المعادن السهلة الانصهار . .

أمسك كل منهم بأحد المواقد بيد وبالخوذة باليد الاخرى ، وهم في ملابسهم الغريبة . .

وتعالى صوت جعفر يقول بمرح :

ـ أصلح«وابور الغاز» . أصلح الحنفيات . .

ابتسم الدليل لمرحهم وقال :

ـ إنه السلاح الوحيد الناجع في مقاومة هجماتها . .

التفت سامح الى الفتيات وقال قبل التحرك :

ـ أغلقوا أبواب الطائرة ، ومعكن من الأسلحة ما يمكنكن من صرع كل من يفكر في مهاجمتكن إنساناً كان أو حيواناً . .

وظللن يـراقبنهم في صعودهم الجبـل حتى وصلوا إلى أولى المغارات فقالت نهلة :

ـ كم كنت أتمنى لو اشتركت في هذه الرحلة . .

ولكن ما صادفهم بعد دخول المغارة ، وعندمـا أشعلوا مصابيحهم المثبتة فوق جباههم ، كان أمراً مخيفاً ، لو أن واحدة منهن شاهدته دون الاشتراك فيه لماتت رعباً . لقد تعالت صيحات مرعبة وأصوات كريهة واندفعت نحوهم أسرابٌ من الخفـافيش الرهيبـة ، مكشرة عن أنيـابها البارزة الحادة . . ودارت المعـركة غـير المتكـافئـة وتساقـطت الخفافيش بـالعشرات ، ولكنهـا كـانت تقـاتـل بضـراوة حتى شعـروا مـع قسـوة هجـومها ، وبـالرغم من الأقنعـة الواقيـة ، أنها على وشـك تحـطيمهـا

والوصول إلى وجوههم . .

قال الدليل :

ـ أنظروا إلى هناك .

نظروا إلى حيث أشار وشاهدوا هيكلاً عظميـاً لإنسان ،ومن حـوله عدة أدوات مما يستعمله الرحالة . ولكن مالفت نظرهم هو تلك الحقيبة الجلدية الصغيرة . . تقدم منها جعفر ، وهو في قتال مريـر مع أسـراب جديدة من الخفافيش ، عندما قال الدليل :

ـ الآن إلى الخارج . . وأسرعوا . .

نفذوا الأمر وعادوا إلى مدخل المغارة فقال الدليل :

ـ يا لها من خفافيش رهيبة ! . لقد سمعت عنها الكثـير منذ نعـومة أظافري ، ولكنها المرة الأولى التي أواجهها فيها . .

كان جعفر يتخلص من قفازه وقناعه عندما قال الدليل :

ـ إفتحهـا لنرى لمن تكون . . لاشك سنجد بداخلها ما يرشدنا .

فتح جعفر الحافظة فإذا بداخلهـا بعض أوراق النقد السليمـة وعدة أوراق بفحصها أدركوا أنها أعجب ما في المغامرة من مفاجـآت . . إنها لعم سونيا، والهيكل العظمي هيكله، وهو الذي ظنوه قُتل، وأيّد الخفي خبر مقتله في حديثه لسونيا . .

قال جعفر :

ـ أمر غريب . . وكيف وصل إلى هنا بينما أخفى رسالـة المهراجا في درج مكتبه السري . .

أجابه الدليل :

ـ لا أعرف الإجابة على سؤالك . . المهم أنه وصل إلى هنا ، ومعنى

ذلك أنه كان يسير في الاتجاه الصحيح . .

ولم يجدوا ما يفيد فقال فيصل :

ـ علينا الانتهاء من هذا الصراع قبل حلول الظلام وإلا تألّبت علينا كل خفافيش المغارات تلبية لهذه الأصوات المنكرة ، التي تطلقها الخفافيش وهي تهاجمنا ، والتي أعتقد أنها صرخات استغاثة . .

أجابه الدليل مؤيداً :

ـ أنت على حق . . هيا بنا . .

وعاودوا الدخول ، وعادت الخفافيش إلى مهاجمتهم بشدة . . ولم يعد يسمع في الصمت المطبق إلا صوت أظافرها وأنيابها وهي تضرب الأقنعة المعدنية ، وصوت أزيز المواقد التي كانت من الأسلحة الناجعة ، والتي لولاها ما استطاعوا التقدم خطوة واحدة بالرغم من كل ما اتخذوه من سبل الوقاية . .

وتقدموا داخلين ، وأخذت المقاومة تتضاءل شيئاً فشيئاً حتى انتهت تماماً ، بعد أن امتلأت أرض المغارة بمئات الخفافيش المقتولة .

واصلوا التقدم ودارت بهم المغارة في كهف ضيق عانوا كثيراً من المتاعب ليجتازوه إلى نهايته ، حيث اتخذ شكل المغارة شكلاً مربعاً . .

توقف رجب فجأة أمام رسم لمحه على الحائط وهتف قائلاً :

ـ أنظروا . .

أسرعوا إليه جميعاً وشلّتهم المفاجأة الجديدة . . فقد رُسمت كف ليد يشير إبهامها إلى ناحية وسبابتها إلى ناحية أخرى مكونيْن معاً شبه زاوية قائمة . .

قال جعفر :

ـ ما معنى هذا . . ؟؟ ومن الذي قام برسمها . . ؟؟

جاءت الإجابة من بعيد حيث وقف بومدين :

ـ معناه واضح جداً . . لقد وصل إلى هذا المكان عم سونيا وهو الذي قام برسم هذه الكف على هذه الصورة . .

قال الدليل :

ـ إن كان هذا ما عناه من الرسم ، فإن الجواهر مطمورة في هذا الركن . .

وأشار باصبعه إلى جانب من الغرفة . . فاتجهوا إليه جميعاً ، والأضواء مسلطة على الجدران والأرض بحثاً عن أي علامة تدل على أنهم لم يخطئوا . .

هتف فيصل قائلاً :

ـ إنه هنا . . أنظروا . .

أسرعوا إلى مكانه وشاهدوا ما يعنيه . . كان رسماً آخر لكف تشير سبابتها نحو الأرض . .

قال جعفر :

ـ فلنحفر هنا . .

أجابه سامح :

ـ إن الأدوات خارج المغارة . . سأذهب لإحضار بعضها . .

صحبه جعفر ، وعادا على عجل يحملان معولين أخذا يحفران بها الأرض بقوة حتى اصطدم أحد المعولين بجسم صلب ، أحدث اصطدامه به رنيناً لمعدن ، فقال سامح بفرح :

ـ إنه صندوق حديدي . .

ومرت دقائق . . وكشف الحفر عن صندوق من النحاس متوسط الحجم . . تعاونوا على إخراجه . . وتم لهم ذلك فتنهدوا بارتياح فقال الدليل :

ـ فلنخرج من هنا . .

انسحبوا من المكان بسرعة حتى أصبحوا خارج المغارة ، وما كاد يظهر فيصل ، وكان في المقدمة ، حتى أزت إلى جوار أذنه رصاصة زغردت واستقرت في جسم الجبل .

ارتمى على الأرض وهو يصرخ محذراً :

ـ إنبطحوا على الأرض . .

وزحف عائداً أدراجه ، وسيل من الرصاص ينصب على باب المغارة ، فقال الدليل :

ـ لقد لحقوا بنا . . إننا في موقف لا نُحسد عليه يا رفاق . . إذا حاصرونا بالداخل قضوا علينا دون قتال . . سيتركونا نموت جوعاً وعطشاً . .

قال جعفر وهو يقبض على مسدسه :

ـ لا يا أخ . . لسنا لقمة سائغة ، كما يتصورون . .

نظر الدليل حوله فإذا بهم جميعاً وقد أشهروا مسدسات صغيرة متشابهة فقال بغيظ :

ـ ما جدوى هذه المسدسات حيال بنادقهم البعيدة المدى . . ؟

لم يجيبوه ، وإن تلاحمت رؤوسهم برهة شرعوا بعدها بالزحف إلى الخارج ، بينما ظل الدليل في مكانه لا يدري كيف قبل مهمة يتولاها

أمثال هؤلاء المجانين ، الذين يزحفون إلى الموت بأرجلهم . . هتف محذراً :

ـ إلى أين . . ؟؟ إنتظروا . . سيقتلونكم . .

أجابه مازن :

ـ لا عليك . . إنتظر حيث أنت ريثما ننتهي منهم . . عندما تسمع ندائي إرفع المعول عالياً وتلقى ما قد يطلقونه من رصاص .

كان خروجهم من المغارة على شكل مروحة ، واتخذوا من جدار الجبل ستاراً ليتفرقوا في كل اتجاه ، ثم همس مازن بصوت سمعه الجميع :

ـ الآن علينا بمصدر النيران . . تنبهوا إلى المكان الذي تصدر منه الطلقات . .

وبعد لحظة هتف بصوت مرتفع :

ـ الآن . . إرفع المعول . .

بيد مرتعدة رفع الدليل المعول ، وسرعان ما خفض يده على عجل بعد أن انهال عليه الرصاص كالمطر . .

وفي الخارج . . بدأ زحف من نوع جديد ، فقد اتخذ كل منهم اتجاهاً في زحفه الحذر البطيء . . وسمع الدليل صوت صرخات ألم عالية ، آتية من هنا وهناك ، فازدادت جرأته وزحف يستطلع ما يدور . .

وتكررت الصرخات ، وسمع صوت يطلب التسليم فزحف حتى المغارة وألقى نظرة سريعة على ما يدور في الأسفل ، واتسعت عيناه من شدة الدهشة لما رآه . . لمح عدة رجال يرفعون أيديهم فوق رؤوسهم بينما ظهر جعفر من بين الأحجار شاهراً مسدسه ، وتلوه في الظهور الواحد بعد الآخر . .

والتفتوا إليه ، وأشار له سامح بيده وهتف بصوت مرتفع :

ـ لقد انتهى كل شيء . . أهبط إلى هنا . .

أمسك بالصندوق النحاسي بقوة وضمه إلى صدره ، وغادر المغارة يهبط بين الصخور ببراعة حتى وصل إلى مكانهم ، وكانوا منهمكين في تقييد الأسرى بعد أن قضوا على ثلاثة منهم . . . .

تأملهم الدليل بإمعان وكانوا خليطاً من الرجال البيض والهنود .

وكان الأسرى العشرة في حالة من الذعر انتهزها المغامرون لاستجوابهم ، فقال قيس مهدداً بمسدسه :

ـ لقد لمستم أي أسلحة نملك ، وكان باستطاعتنا القضاء عليكم بلا رحمة ، ولكن فرصتكم الأخيرة هي الإجابة على أسئلتنا بصدق ، وإلا لا تلوموا إلا أنفسكم . .

أجابه أحدهم بعربية ملكونة :

ـ سلوا وسنجيب . .

قال سامح بصرامة :

ـ من الذي أرسلكم إلى هنا ، وكيف عرفتم الطريق . . ؟؟

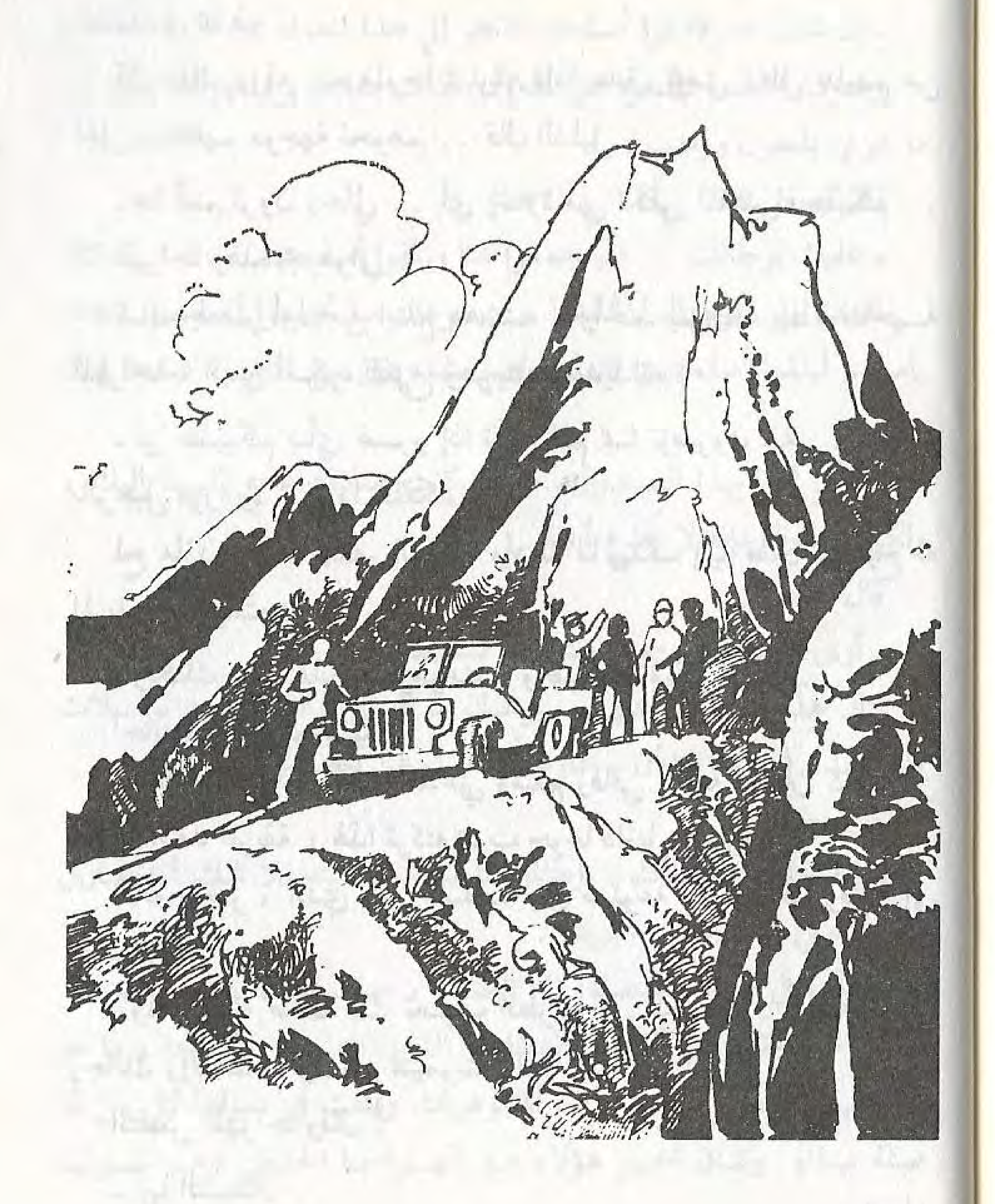
أجابه أحد الهنود بالهندية التي ترجمها الدليل ببرود قائلاً :

ـ يقول إن المهراجا هو الذي أرسل هؤلاء الرجال البيض مزودين برسم . .

هتف سامح مستنكراً :

ـ ماذا تقول . . سله أرجوك . . أين المهراجا الآن . . ؟؟

سأله الدليل بصوت أجش ، وتلقى إجابته التي أذهلتهم :



ـ يقول إن المهراجا في مكان قريب منا في هذه اللحظة ، منتظراً الصندوق بما فيه . .

قال ذلك ورفع يده ملوحاً بمنديله فإذا عدة رؤوس تطل عليهم من أعلى وبنادقهم موجهة نحوهم . . قال الدليل :

ـ ها أنتم ترون رجالي . . أي إشارة مني تكفي للقضاء عليكم . . أنا المهراجا وهذه مجوهراتي . .

كان جعفر أول من ابتلع دهشته ، وأخذ يزحف ببطء ناحية المهراجا ، الذي أسكره الفرح وهو يتابع تهديداته :

ـ لن نصيبكم بأي ضرر إذا تصرفتم بما تؤمرون به . . عليكم بالرحيل فوراً ولا تنظروا خلفكم . .

لمح مازن زحف جعفر البطيء وأدرك ما يهدف إليه فقال ، ليتيح له المزيد من الوقت :

ـ ولكنك بعت هذه المجوهرات ، وأصبحت ملكاً لغيرك . .

أجابه المهراجا بوحشية :

ـ هذا صحيح ، ولكنه خدعني وسلم رفاقي أربعة ملايين كلها من أوراق النقد المزيفة ، لهذا تركته يموت جوعاً داخل المغارة . .

سأله جعفر ، الذي دس مسدسه بين ضلوعه ، وكان قد وصل إلى خلفه :

ـ ولماذا تقتله طالما أنك تعرف الطريق إلى المكان . . ؟ تحدث إلى رجالك وإلا كنت أول من سيموت .

انتفض المهراجا وقال :

ـ أيها الشيطان . .

قال سامح :

ـ إن شئت معرفة قوة أسلحتنا فانظر إلى هذا المعول . .

وصوب الأشعة المدمرة على المعول فأذاب معدنه ، والمهراجا ينظر إلى ما يجري بذهول ورعب . .

قال جعفر :

ـ عليك برجالك . . فليتجمعوا هنا ويلقوا أسلحتهم . .

تحدث إلى الرجال بالهندية ، وسرعان ما تجمعوا أمامهم ، فعاد يأمرهم ليلقوا أسلحتهم ففعلوا وهم مشدوهين من الأمر ، عندها قال جعفر :

ـ الآن إلينا بهذا الصندوق . . فلو كنت صادقاً أعاده رئيسنا إليك ، ولكني أحذرك فإنه لا يُخدع أبداً . .

قال سامح :

ـ أرى أن نقيدهم جميعاً ونتركهم للسلطات . .

كان هذا اقتراحاً وجيهاً ، سرعان ما نفذوه بالرغم من توسلات المهراجا ، في هذا الشأن ، عارضاً التنازل عن الصندوق وما فيه . .

قال جعفر :

ـ إنه يخاف السلطات ، وطالما أننا لسنا وحشيته فلا شك أنه غارق إلى أذنيه في عمل يخشى عقوبته . .

وجدّوا في سيرهم ليصلوا إلى الطائرة ، حيث كان بانتظارهم خبر مذهل من الخفي هو أن هذا الدليل ، الذي أدعى أنه المهراجا ، ما هو إلا زعيم لعصابة سعت خلف المجوهرات وقتلت في سبيلها كل من له صلة بها ، وكان آخر هؤلاء هو المهراجا الحقيقي وعم سونيا المسكين . .

حطت الطائرة في مكانها على سطح الـزورق ، وتهيأ مـازن للرحيل عندما جاء صوت الخفي يقول بفرح :

- إن الفتيات متلهفات لسماع التفصيلات . . وتابع محدثاً سونيا :

- يـا لعمك المسكـين . . لقد قتـل وهو يـدافـع عن كنـز صـديقـه المهراجا ، ولو شاء النجاة لدلّهم على المكان الذي نقل إليه الصندوق . .

سألته سونيا :

- أتعني أن الصندوق كان في مكان آخر ونقله منه . . ؟

أجابها رقم صفر :

- نعم . . كـان في مغـارة تبعـد عن مكـانكم هـذا قـرابـة العشـرة أميال . .

سأله مازن :

- ولماذا أعاد دفنه ولم يرحل به . .

أجابه الخفي :

- شعـر من الوهلة الأولى أنـه مراقب ، وكـان مخطط العصـابة هـو الانقضـاض عليه وانتـزاع الصندوق منه عند ظهـوره ، فقد حـاولـوا تتبعه ، ولكن عنف هجمات الخفافيش جعلتهم يفضلون انتظاره وهو في طريق العودة . . لقد أمضى المسكين أياماً رهيبة ، وهو يتنقل من مغارة إلى أخرى أثناء الليل ، حتى تنبهوا لدخوله تلك المغارة الأخيرة ، وكان في حالة إعياء وضعف ، وبالرغم منها قام بدفن الصندوق ورسم على الجدران ما أرشدكم . .

كان الزورق قد ارتفع في الجو فتنفسوا بارتياح والتفوا حول المائدة .

وانهالت الأسئلة من الفتيات كالسيل، وتلقين الإجابات التي فسرت لهن بدقة كل ما لم يشاركن فيه . .

قالت سونيا :

- يا لعمي المسكين . .

أجابها الخفي :

- كان بطلاً شريفاً . .

قال مازن متسائلاً :

- هل سنعود إلى القاعدة رأساً . . ؟

أجابه الخفي بصوت ضاحك :

- نعم يـا مازن ، وإن كنت قـررت منحكم إجازة قصيـرة تمضـونها حيث شئتم . .

قال سامح بتودد :

- سؤال أخير . . كيف وصل إلى علمك أن عمها هو الذي قام بنقل الصندوق والموت في سبيل الزود عنه . . ؟؟

ضحك الخفي ضحكة غامضة وقال :

- عرفته من المرأة التي لم أصدقها في البداية . .

هتف أكثر من صوت :

- إمرأة . . ؟؟ أية إمرأة . . ؟؟

لم يجبهم من فوره ، وساد الصمت لحظات تابع بعدها يقول :

- إنها أم المهراجا . .

هتفت فتنة غير مصدقة :

ـ أم المهراجا . . ؟؟ وما دورها هي الأخرى . . ؟

أجابها بغموض :

ـ هناك داخل الصندوق ماسة كبيرة كانت ضمن تاجها وهي أميرة شابة . . عندما أرغمتهم الظروف على بيع مجوهراتهم ، وعلمت أن ماستها الشهيرة بينها ، فقررت استعادتها ولو ماتت في سبيل ذلك ، وكادت أن تستردها فعلاً لولا لدغة العقرب التي أودت بها .

وانتهت مكالمة الخفي ، فقالت سونيا بإعجاب :

ـ هنيئاً لكم بهذا الزعيم . .

أجابتها سميرة ضاحكة :

ـ هنيئاً لنا ولك . . ألست واحدة منا أم رجعت عن عزمك بعد أول مغامرة صادفتك . . ؟؟

وبكل صراحة قالت :

ـ نعم . . لن أكون ضمنكم ، فلن تقوى أعصابي على تحمل ما تلاقون في مغامراتكم . .

قال الخفي بصوته المرح :

ـ لذلك سيكون خطيبك ، الذي أرسلت له برقية ليحضر من باريس ، في انتظارك في شقة عمك . . إنها هدية العرس مني لكما . أما مجوهراتك فستكون بأمان بخزانة البنك تحصلين عليها وقتما تشائين .

كانت سونيا تبكي تأثراً في صمت وإن كانت دموع فرح لا مرارة فيها . .

تمت

سلسلة المغامرين الـ ١٣

وهـذه مجمـوعـة أخـرى من قصص الفتيـان ، تفخـر « دار النفـائس » بوضعها في متناول أيديهم .

إنها قصص « بوليسية » مثيرة . يلعب فيها الخيال دوراً بارزاً . وينتصر فيها العـدل على الـظلم ، والقانـون عـلى المجرمين .

في قصتنـا هذه نعـتَزُّ بالمحـافـظة عـلى العـرض الأدبي الممتـع ، والاهتمـام بالخلق الرفيع ، والشهامة العربيـة ، والشجاعة الأصيلة ، عسى أن يستفيد منها الجيل الجديد .

